في فنون الترجمة

للترجمة فنون تتباين في مناهجها وفي غايتها ، شأنها في هذا شأن فروع الأدب جميعاً . فليس في جميع شؤون الفكر قواعد صارمة جازمة وقوالب مصبوبة جامدة وأساليب قدسية إلهية يمتنع على المرء أن يتجاوزها أو يتصرف فيها . وإنما لكل جانب من جوانب الفكر قواعد عامة ، على قدرٍ كبير من المرونة ، تتيح للمشتغل بها أن يتصرّف وفقاً لذوقه وطرائقه الخاصة وأسلوبه وشخصيته وما يرتئيه من تجديد أو ينحو إليه من منحى .

والترجمة قد تشترط فيها قواعدُ عامّة من حيث القدرة على نقل معاني الأصل بأمانةٍ ودقّة ، ومن حيث الإتقان في تفضيل تراكيب عربية صحيحة على تراكيب أعجمية مفرطة في عجمتها ، ومن حيث مُحاذرة إقحام كلام من عنديات المترجم لم يقله صاحب الأثر ، اللهمّ إلاّ على سبيل التفسير والتوضيح (في الهوامش والذيول) ، ومن حيث الاحتفاظ للأثر بخصائصه الكامنة تشويقاً وجلاءً وصحّةً وضبطاً ، فالرواية المترجمة تُقرأ على اعتبار أنها رواية مشوّقة ، والكتاب العلميّ يترجم بوصفه كتاباً علمياً فيه ذخيرةٌ من المعارف مضبوطة بنواميسها العلمية ومصطلحاتها التي يعرفها أهلُ الاختصاص ، والكتاب الأدبي يترجم ككتاب أدبيّ خالصٍ للأدب ومذاهبه وآرائه وفنونه ، والكتاب الذي يتناول جانباً من جوانب الفنون التشكيلية يترجم باعتباره كتاب فنٍ في المقام الأول ، والكتاب الطبيّ يترجم ليكون كتاباً نافعاً للمشتغلين بالطبّ من حيث مادّته ومصطلحاته . ولئن روعي هذا الاعتبار الجوهريّ في ترجمة الكتب ، فثمة اعتبار جوهري عام يسري على الترجمات جميعاً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو أن يكون الكتابُ المنقول ناصع اللغة مصقول العبارة جميل الأسلوب لا يتعثَّر قارئه في أخطاء لغوية ولا يصطدم بتركيبات ناشزة ولا تنمض عليه المعاني المبتغاة .

غير أن المشتغلين بالترجمة قد ذهبوا في أساليبهم مذاهب شتَّى ، فمنهم من اعتبر الترجمة مجرّد نقلٍ أو تعريب ، يقرأ العبارة الفرنجية ، ثم يكتبها بأسلوبه الخاص غير متقيّد إلاّ بالمعنى العام الذي رسب في ذهنه ووقع في روعه ، كمحمد السباعي الذي كان يأبى أيّ قيدٍ يحدّ من حرّيته في الترجمة ، فينقل الكتاب وكأنه يؤلّفه ، يُضيف هنا ويحذف هناك ، ويتصرّف في هذا المعنى أو ذاك ، ويغيّر ويبدّل دون أن يلتزم أي حرفيةٍ ، بل دون أن يعامل الأثر الأصلي بأي قدرٍ من القداسة أو التبجيل . فهو أديبٌ كبير ، ولا يُعيبه أن يؤلّف كتاباً كالذي دُفع إلى يديه لترجمته ، فليتصرّف إذن على هواه ، وهمّه الأوّل أن يخرج للقاريء كتاباً مقروءاً فصيح العبارة سلسها ليس فيه من العجمة أثراً أو شائبة .

ومن المترجمين مَنْ سلك في التعريب مسلكاً آخر . فإذا كان محمد السباعي دارياً باللغات الأجنبية ، فهم بها على غير دراية . ولهذا كان لا مفرّ لهم من أن يستعينوا بمترجمٍ ينقل الأثر من أصله الأجنبيّ إلى نصٍّ عربيّ . ثم يقومون هم بتعهّد هذا النصّ بالصقل والتهذيب بل إعادة الصياغة ليجيء في آخر الأمر عملاً أدبياً جميلاً ، حتّى ولو نأى عن الأصل بحكم أن العمل تناوله اثنان أحدهما « ترجمان » يؤدّي المعنى بأي عبارة ولو كانت مهلهلة سقيمة ، وثانيهما أديب ولكنّه مبتوت الصلة لغوياً بالنصّ المترجم . ونذكر من أولئك المترجمين مصطفى لطفي المنفلوطي والشاعر محمود أبو الوفا الذي أخرج رواية « جريمة سان سلفستر » في أسلوب عربي شديد الفصاحة وهو لا يعرف حرفاً من نصّها الفرنجيّ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم إن من المترجمين من اتخذ في الترجمة أسلوباً آخر ، فقسّمها إلى مراحل ثلاث ، تتمثّل المرحلة الأولى منها في إجراء ترجمة سريعة للنصّ الأصلي تتمسك بحرفيّة التعبير وعجمة التراكيب . فمتى استكملت هذه المرحلة ، نحّي الأصلُ الأجنبيّ وأزيل من الطريق تماماً ، ثم عكف المترجم على تهذيب ترجمته وتشذيبها بما يلبسها ثوباً أدبياً ويسبغ عليها رونقاً عربياً يُلغي عجمتها . وعندئذ تبدأ المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة إعادة كتابة الأثر وإغنائه قدر المستطاع بفنون البلاغة والتعبير ، وصقله صقلاً تتراءى فيه إشراقة الأدب ومطارف الفن . ومن الآخذين بهذا المنهاج أحمد حسن الزيات .

وهناك مترجمون يتمسكون في ترجماتهم بالحرفيّة الكاملة ، فلا يتركون حرفاً ولا يتصرّفون في عبارة . فالكلام الذي ينبرون لنقله مكتسبٌ لصبغة التقديس ، وليس من حقّهم أن ينحرفوا عن صراطه المستقيم أو يتصرّفوا فيه بحذفٍ أو إضافة أو تحوير ، وغايةُ ما يتوخّونه ، هو أن ينقلوا المتن نقلاً حرفياً أميناً دون إخلال بنصاعة الديباجة أو بوضوح المعنى أو بالتراكيب . وفي هـــذه الفئة من المترجمين يُذكر الدكتوران يعقوب وفؤاد صرّوف وعادل زعيتر وعلي أدهم وعباس حافظ والدكتور راشد البراوي .

أما المترجمون الذين وكدهم أن يترجموا الوثائق والعقود القانونية ، أو كتب المعادلات الرياضية والمسائل العلمية المختلفة ، فهؤلاء مفروض فيهم أن يحافظوا على الدقة الحرفية واللفظية لما يترجمونه ، وأن يكونوا على دراية كاملة بالمصطلحات المحدّدة التي استقرّت في كل باب ، وحتمٌ عليهم أن يلتزموا تعبيرات معيّنة اكتسبت بالعرف والاصطلاح كياناً ذاتياً في القانون والعلوم ، فإن تصرّفوا فيها تصرّفاً بيانياً أو لغوياً جانبوا الجادّة . على أن الضليعين في هذه الترجمات لا بدّ من أن تظهر خصائص أساليبهم وشخصيتهم في مترجماتهم ، كالفقيهيْن عبد العزيز فهمي وعبد الحميد بدوي والدكتور سابا حبشي ومن هم في طبقتهم من سدنة القانون والفقه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهناك المترجمون المشّاءون ، أي الذين يمشون في مدارج الحياة اليومية ، يترجمون للصحف والإذاعات ، وينقلون الكتب نقلاً سريعاً ، دون أن يتّسع لهم الوقت لإعادة النظر في ترجماتهم أو لمراعاة الحرص الدقيق الكامل في عملهم . فهؤلاء يترجمون تحت ضغط السرعة ويعملون أعمالاً مرهقة في ساعات الليل المتأخرة ، وليس في وسعهم إلاّ أن يغلّبوا الارتجال على الاتئاد ، والسهولة على التعقيد ، فهمّهم الأول أن يترجموا برقيات الصحافة ترجمة مفهومة ، وأن ينقلوا الأخبار نقلاً سريعاً ، أو يترجموا الروايات البوليسية ترجمةً شعبية ، وليس هناك وقتٌ للإتقان وليست ثمة ضرورة له ما دامت الصحيفة تُقرأ وتُهمل ، والخبر يُذاع وينسى ، والرواية البوليسية تعرض في السوق أياماً ثم تستعاد « كمرتجع » مصيره الإزجاء والإهمال ، على أن طابع السرعة الذي تتميّز به أعمال هذه الفئة من المترجمين يجعلهم قادرين على ارتجال المعاني والمرادفات للتعبيرات الجديدة التي تدخل في لغة الحديث اليوميّ ، وسواء أصابوا في ارتجالهم توفيقاً أو تخلّى التوفيق عنهم ، فإنّ طائفةً كبيرة من مسكوكاتهم اللفظية تشيع على الألسنة كقولهم « تصعيد » الحرب و « تحييد » الجزيرة والحركة « الجماهيرية » و « التوعية » الاقتصادية و « الحوار » المذهبي وهلمّ جرّا .

وهناك المترجمون الفوريون الذين يُستعان بهم في المؤتمرات الدولية والندوات المتفرعة عليها والجماعات الإقليمية ، حيث تتعدد لغات المشاركين في المؤتمر أو الندوة ، ويقوم المترجمون الفوريون بترجمة الخطب والمناقشات في نفس الوقت واللحظة ، فتنتقل ترجماتهم عبر السماعات إلى آذان الحاضرين ، كلٌّ حسب ما يُحسن من لغات . وأوّل ما يتميّز به هؤلاء المترجمون الفوريون الإتقان الكامل للغتين اللتين يشتغلون بهما ، مع حضور الذهن وسرعة البديهة بحيث تتمّ عملية الترجمة لحظة بلحظة ، فلا يتخلّف المترجمُ عن الخطيب أو المتكلم . فإذا كان موضوعُ المؤتمر موضوعاً فنّياً ، يعالج جانباً من جوانب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الهندسة أو الكيمياء أو الفيزياء أو علوم الفضاء أو ما إلى ذلك ، اشترط في المترجمين الفوريين الإلمام الكامل بالمصطلحات التي تتصل بموضوع المؤتمر حتّى لا يتعثّروا في عملهم ، لا سيّما وأن أمثالهم لا يستطيعون مراجعة قاموس أو الكشف عن لفظة بحكم اضطرارهم إلى متابعة كل ما يقال وارتجالهم الترجمة تلقائياً وعلى الفور وفي عين اللحظة .

وهؤلاء المترجمون ، على خطر المهمّة التي يقومون بها في المحافل الأمميّة ، لا يؤدّون ولا يُرجى منهم أن يؤدّوا خدمةً للأدب أو للفكر أو للعلوم المختلفة . فهم « تراجمة » من طراز عال وقلّ أن تتميّز ترجمات أيّ منهم بخصائص أو مقدّمات ينفرد بها عن سواه ، وإن كان عملهم يبهر ، ومهمّتهم تكاد تبلغ مرتبة الإعجاز بسرعتها الفائقة وخطورتها ولا سيما إذا أساءوا الفهم وأساءوا التعبير نتيجةً لذلك . وللمرء أن يتصوّر الأزمات السياسية التي قد تنجم عن خطأ في الترجمة ـ ولو كان غير مقصود ـ في حلبة دولية أو منتدى جامعٍ لدول شتّى . فللكلام خطر ، وإلقاؤه في غير تدقيقٍ أو تبصّر كفيلٌ بإحداث أصداء بعيدة إن وقع فيه لَبْسٌ أو سوء تأويل كأثر من آثار سوء الفهم وخطأ النقل .

وفنون الترجمة جميعاً قد اطّردت على غير نهج مرسوم ، وتُركت لاجتهاد كلّ سالكٍ في هذا الميدان . وإذا قيل في وصف الترجمة إنها « علمٌ » ، فإن هذا العلم لا يدرّس أو يلقن في المعاهد والجامعات ، ولو دُرّس ، فأقلّه يتمّ في قاعات الدرس ، وأكثره يُنجز في الحياة العملية نفسها . يضاف إلى ذلك أن المترجم المقتدر هو الذي أهّل نفسه لتحصيل قدرٍ وافٍ من أبواب المعارف جميعاً ، وناهيك بإتقان اللغات التي هو بها مشتغل ، ومادّة التخصص التي تنصبّ عليها عنايته . وإذا كان للمرء أن يتحدّث عن بعض خبرته ، فلا حرج في أن يذكر الكاتبُ أنه ألفى نفسه وهو يترجم كتاباً جديداً عن قضية فلسطين ، منشغلاً بموضوعاتٍ بعضها تاريخيّ ، وبعضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دينيّ ، وبعضها سلاليّ ، وبعضها سياسيّ ، وبعضها قانونيّ ، وبعضها اقتصادي ، وبعضها متّصل بأمور الأمم المتحدة ، وبعضها من صميم الفقه الدولي وبعضها جغرافيّ وإحصائي . ولا تستقيم ترجمةٌ لمثل هذا الكتاب إلا إذا كان ناقله على دراية بأطرافٍ وافية من هذه العلوم جميعاً ، فوق إتقان اللغات الثلاث التي دخلت في الكتاب وترجمته ، بما في ذلك المصطلحات اللاطينية والنصوص الإفرنسية والمتن الانكليزي والترجمة العربية .

والمترجمون ينقسمون في جملتهم إلى فئتين عريضتين : فئة المترجمين المتخصصين الذين يتوافرون على ترجمة كتبٍ في موضوع بعينه كالطب مثلاً أو علم طبقات الأرض أو علم الفضاء ، لطول باعهم في هذا العلم أو ذاك ، وفئة المترجمين الذين ينقلون كلَّ شيء مهما يكن موضوعه ، ما دامت بين أيديهم مصطلحاته وفي متناولهم بقليل من الاجتهاد أن يصبحوا على دراية طيّبة بفحواه . والفئة الأولى تحصر جهودها في ميدان واحدٍ من الميادين الأكاديمية المتخصصة فلا تبرحها . أمّا الفئة الثانية ، فهي التي تضطلع عادةً بأكبر العبء في ترجمة الكتب الأدبية ، وكتب التاريخ والرحلات ، والكتب الثقافية العامّة ما دامت بعيدةً عن التخصّص الحنيف . والفئة الثانية من النقلة هي التي يُعوّل عليها أكبر تعويل في إغناء المكتبة العربية بصنوف المؤلفات التي تصدر بلغات العالم الكثيرة ، ولا سيا ما يتّخذ لنفسه مكاناً في التراث الفكري أو التاريخ الأدبيّ أو ما يعتبر من أمهات الكتب .

وليس ثمة عاصم من التبذّل في الترجمة والترخّص في النقل إلا إيمان المترجم بأنه يضطلع « برسالة » ، وشعوره بأن له من ضميره رقيباً على عمله . ولا يحدث ، إلاّ في النّدْرَى ، أن يجري القارئُ مقابلةً بين الترجمة والنص ليتبيّن حظّها من الدقة والإتقان . والقارئُ يفترض أصلاً أن المترجم قد توافرت له الكفاية ، ودانت له القدرة ، وتكاملت عنده أسبابُ الإتقان ، واضطلع بعمله عن درايةٍ وفهم ووعيٍ وضمير يقظ وأمانة تامّة . وهذه

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثقة القائمة بين القارئ والمترجم يغذّيها تأكّد هذه الاعتبارات في كل أثر جديد ينقله المترجم. فإذا حدث ما يزعزع هذه الثقة لم يعد يسيراً استرجاعها.

و«الرسالة» التي يتوخاها المترجمُ تفرض عليه أن يُنزل الكتاب من نفسه منزلةً عزيزة، وأن يكون بينه وبين موضوعه تجاوب وتجاذب، وأن يكون واثقاً من نفعه إذا تُرجم، وأن يحرص على إبقاء هذا الأثر بكل جماله ورونقه وبهائه عند ترجمته، فلا تعدو عليه أسبابُ التشويه والمسخ. والمترجمُ الصادقُ مع نفسه، هو الذي يخاطب ذاته قائلاً «ليتني كنتُ مؤلّف هذا الكتاب، أما وقد ألّفه غيري، فلأعكف على نقله بشغفٍ وهوى وهوس حتّى أكون خليقاً بشرف نسبة الترجمة إليَّ إن فاتني شرفُ نسبة التأليف إلى قلمي».

ولو آمن كل مترجم «برسالته» ووطّن النفس على أن يُخلص لهذه الرسالة إخلاصاً شبه دينيّ، وعقد العزم على أن يطاولَ بترجمته المؤلّفَ الأصليَّ مهما تكن منزلته، وتأهّب للترجمة بحسن الفهم ودقّة التعبير وحلاوة الأسلوب، لارتقى مستوى الترجمات العربية ارتقاءً عظيماً، ولأغناها ذلك عن الاعتماد عن المراجعين والفاحصين وغيرهم من الذين كثرت أسماؤهم وتعدّدت صفاتهم على أغلفة الكتب المترجمة.

فالترجمة كعملٍ أدبيّ فكريّ ثقافيّ كريم، رسالةٌ وأمانةٌ. ومن صميم الرسالة والأمانة أن يضطلع بها المخلصون الصادقون دونما حاجة إلى قسَمٍ عظيم.

وديع فلسطين

شبكة الألوكة
www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net